جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

# الأمير دُبَيْس بن صدقة ودوره السياسي خلال الفترة (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨- ١١٣٥م)

إعداد

د/ فهمي عبد الغني محمد حسنين المصري .
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

( العدد السادس والثلاثون )
( الإصدار الثالث .. أغسطس )
( ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م )

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

# الأمير دُبَيْس بن صدقة ودوره السياسي خلال الفترة (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨- ١١٣٥م)

**فهمي عبد الغني محمد حسنين المصري .**
**أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد بكلية اللغة العربية -جامعة الأزهر - القاهرة. مصر.**
**البريد الاليكتروني: fahmyelmasry@azhar.edu.eg**

**الملخص:**

الهدف من الدراسة رغبة الباحث في إظهار الدور السياسي للأمير دبيس بن صدقة، وما قام به من تزكية الصراع بين الخلافة العباسية وسلاطين السلاجقة وإعلانه التمرد والعصيان واستعانته بالصليبيين، وقد تم اختيار هذا الموضوع لأن معظم الباحثين لم يوجهوا عنايتهم لهذا الموضوع على حد علم الباحث، وقد اقتصرت حدود البحث على الفترة الزمنية (٥١٢ـ٥٢٩هـ/١١١٨ـ ١١٣٥م) وهي المدة التي تولى فيها دبيس إمارة بني مزيد في الحلة، وقد اعتمد الباحث على المنهج التحليلي المعتمد على الاستنتاج والتحليل في استقراء الروايات، كما اعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع العربية بعضها ذا فائدة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها، وبعضها ذا فائدة ثانوية. أما بالنسبة للدراسات السابقة فهناك بحث بعنوان (علاقات بني مزيد بالقوى السياسية في العراق من بدايات القرن الخامس الهجري حتى منتصف القرن السادس) للباحث عبد المجيد أبو الفتوح بدوي وهذا البحث يتحدث فيه الباحث بشكل عام عن علاقة جميع أمراء بني مزيد بالقوى السياسية ولم يخصص الحديث عن أمير معين أو فترة معينة كما فعلت في بحثي.

**الكلمات المفتاحية:** الأمير دبيس، الدور السياسي، الدولة المزيدية، السلاجقة، الخلافة العباسية.

# Prince Dubays bin Sadaqa and his political role during the period (512-529 AH / 1118-1135 AD)

**Fahmy Abdel-Ghani Mohamed Hassanein Al-Masry.**
**Assistant Professor of Islamic History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo. Egypt.**
**Email: fahmyelmasry@azhar.edu.eg.**

**Abstract :**
The aim of the study is the researcher's desire to show the political role of Prince Dabees bin Sadaqa, and what he did in commending the conflict between the Abbasid caliphate and the Seljuk sultans, declaring rebellion and disobedience, and seeking help from the Crusaders. The limits of the research were limited to the time period (512-529 AH / 1118-1135 AD), which is the period during which Dabees assumed the leadership of the Emirate of Bani Mazyad in Hilla. They are indispensable, and some are of secondary interest.
As for the previous studies, there is a research entitled (Relationships of Bani Mazid with the political forces in Iraq from the beginning of the fifth century AH until the middle of the sixth century) by the researcher Abd al-Majid Abu al-Futuh Badawi. A certain prince or a certain period as I did in my research.

**Keywords:** Prince Debis, The Political Role, The Mazidi State, The Seljuks, The Abbasid Caliphate.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مقدمة**

يدور موضوع هذا البحث حول شخصية الأمير المزيدي دُبيس بن صدقة ودوره السياسي، وهذا الموضوع يتمتع بأهمية كبيرة بسبب كون دبيس أحد أمراء إمارة بني مزيد الذين لعبوا دورًا خطيرًا في تزكية الصراع بين السلاجقة والخلافة العباسية، بل بين سلاطين السلاجقة أنفسهم، كما أعلن العصيان والتمرد على الخلافة العباسية، وكان له مع الخليفة العباسي المسترشد بالله صولات وجولات، كما أنه أغرته أطماعه وطموحاته الشخصية في الانفصال عن الدولة والتمرد عليها والاستقلال ببعض المناطق، وقد استعان بالصليبيين من أجل تحقيق مصالحه الشخصية، وكان دُبيس شيعيًا يعمل جاهدًا على تقويض الخلافة العباسية السنية، وتزكية الصراع بين الخلافة وبين سلاطين السلاجقة، ولما كان هذا الموضوع يمثل أهمية كبرى، فقد أحببت أن يكون موضوع بحثي، وأن أتتبع الدور السياسي لهذا الأمير، وذلك من خلال النقاط التالية:

ـ بنو مزيد (نسبهم . ظهورهم . قيام إمارتهم)

**أولًا:** نسبهم.

**ثانيًا:** ظهورهم.

**ثالثًا:** قيام إمارة بني مزيد وأمرائها (٤٠٣ـ٥٤٥هـ/١٠١٢ـ١١٥٠م).

ـ الأمير دُبَيْس بن صدقة (٥١٢ـ٥٢٩هـ/١١١٨ـ١١٣٤م) ترجمته، حياته، ووصوله إلى الحكم.

**أولًا:** ترجمته، ثانيًا: حياته قبل عام (٥١٢هـ/١١١٨م).

ـ عودة دُبَيْس بن صَدَقَة إلى حكم إمارة بني مزيد (٥١٢هـ/ ١١١٨م)

ـ علاقات دُبَيْس بن صدقة الخارجية.

**أولًا:** علاقته بالخلافة العباسية.

**ثانيًا:** علاقته بالسلاجقة.

**ثالثًا:** تعاون دُبيس بن صدقة مع الصليبيين.

ـ نهاية دبيس بن صدقة عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م).

ـ خاتمة البحث.

## بنو مزيد (نسبهم . ظهورهم . قيام إمارتهم)

**أولًا: نسبهم.**

بنو مزيد: هم بطن من بني أسد بن خزيمة من العدنانية، وينسبون إلى جدهم مزيد بن مرثد بن الديان بن غدور بن أسد بن خزيمة[١] بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [٢].

(١) الحلي، أبو البقاء هبة الله محمد بن نما (المتوفى: ق ٦هـ): المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية: تحقيق/ محمد عبد القادر خريسات، صالح موسى درادكة ـ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان ـ الأردن ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤م ص٣٦٢.

(٢)البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): جمل من أنساب الأشراف: تحقيق/ سهيل زكار ورياض الزركلي . دار الفكر . بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ج١١ ص١٥٣، كحالة، عمر رضا (ت ١٤٠٨هـ): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة: السابعة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ج١ ص٢١، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب: تحقيق/ لجنة من العلماء . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة: الأولى١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ج١ ص٤٧٩. وبنو أسد هم إحدى القبائل العربية القديمة التي سكنت وسط الجزيرة العربية في نجد قبل الإسلام، وعندما جاء الإسلام جاهر بني أسد بعداوتهم للدعوة الإسلامية والنبي . صلى الله عليه وسلم . ومن هذا العداء مشاركتهم في تحالف الأحزاب لحصار المدينة عام (٥هـ/٦٢٦م)، وفي عام (٩هـ/٦٣٠م) جاء وفد منهم إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . منهم حضرمي بن عامر، وضرار بن الأزور، وطلحة بن خويلد، فأعلنوا إسلامهم، وبعد وفاة النبي . صلى الله عليه وسلم . عام (١١هـ/٦٣٢م) ارتد بعضهم عن الإسلام، بل إن منهم من ادعى النبوة، وهو طليحة الأسدي، فأخضعهم أبو بكر الصديق . رضي الله عنه . بعد عدة حروب معهم بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد، فعادوا إلى الاسلام، وشاركوا في حروب الردة، وفي الفتوحات الإسلامية، وكان لهم دور بارز في معركة القادسية إذ يروى أنه اشترك فيها منهم ثلاثة آلاف نفر وكان منهم ضرار بن الأزور وخولة بنت الأزور وكان لهم دوراً أساسياً في انتصار المسلمين. وسكن كثير من بني =

**ثانيًا: ظهورهم.**

ليس هناك تاريخ محدد لظهور بني مزيد على مسرح الأحداث قبل قيام إمارتهم، إلا أنه يمكن القول أن ظهورهم كان في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان المزيديون بطن من بني أسد وهم إحدى القبائل العربية المتنقلة في باديتي الكوفة والبصرة وبادية الشام، ويذكر ابن خلدون: أن مساكنهم كانت من بغداد إلى البصرة إلى نجد(١)، وقد علا شأنهم باتساع نفوذهم وكثرة أتباعهم، فصار الخلفاء العباسيون والأمراء من آل بويه يخطبون ودهم، فاعترفوا

---

=

أسد بعد ذلك الكوفة بينما ظل البعض ساكناً بادية العراق وإيران، بينما استقر قسم أصغر منهم في حلب مع جند الشام، وكان بنو أسد أول قبيلة عربية ساندت علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . وتشيعت له أثناء المعارك التي خاضها في خلافته واستمر تشيعهم. ويروي الإخباريون أن جماعة من بني أسد كانوا من ضمن القتلى في معركة كربلاء، وأن قوماً من بني أسد هم من دفن جثمان الحسين بن علي وأهله بعد المعركة. كما خاض بنو أسد معارك إلى جانب المختار بن أبي عبيد الثقفي واعتنق بنو أسد المذهب الشيعي وظلوا عليه (الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك: دار التراث . بيروت . الطبعة: الثانية ١٣٨٧هـ ج٣ ص٩٦، ص٢٥٣-٢٦١، ج٣ ص٤٨٦، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ج٣ ص٣٥٥، ج٤ ص٢٤، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان . الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ج٢ ص١٥٣، ٢٠٢، ٢٨٨، ج٣ ص١٥٧، ١٨٥، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد بالقوى السياسية في العراق من بدايات القرن الخامس الهجري حتى منتصف القرن السادس: مجلة كلية الآداب . جامعة المنصورة . مصر . العدد ٧ عام ١٩٨٧م ص١٦٧.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: تحقيق/ خليل شحادة . دار الفكر . بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م ج٤ ص٣٥٦، ٣٥٧.

بهم أمراء رسميين على تلك المناطق (أرياف الفرات في أرض بابل) وبذلك انتقلوا من حكم القبيلة أو المشيخة إلى الإمارة[١].

كان بنو مزيد يتنافسون على الزعامة مع أبناء عمومتهم، لا سيما من بني دبيس، وكان كبير بني مزيد أبو الحسن علي بن مزيد وأخوه أبو الغنائم، وكان الأخير يقيم مع أبناء عمه من بني دبيس، إلا أنه قد حدث خلاف بين أبي الغنائم وأحد زعماء بني دبيس، فقام أبو الغنائم بقتله وفر هاربًا إلى أخيه أبي الحسن علي بن مزيد، الذي جمع ألفي فارس ولقي بني دُبَيْس عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) إلا أنه هُزم وقد قُتل أخيه أبي الغنائم، وفي عام (٤٠٥هـ/١٠١٤م) جمع أبو الحسن عشيرته مرة أخرى وسار إلى بني دُبَيْس لإدراك ثأر أخيه، واستطاع هزيمتهم واستولى على أموالهم وحللهم، وقلده فخر الدولة أمر الجزيرة الدبيسية واستمر عليها لمدة خمسة أشهر[٢]، إلا أن مضر بن دُبَيْس جمع جمعًا، وهاجم أبا الحسن، واستولى مضر على حلله وأمواله، وكل ماله[٣]، ولحق أبو الحسن ببلد النيل[٤] منهزمًا.

---

(١) يوسف كركوش: تاريخ الحلة(القسم الأول في الحياة السياسية): المطبعة الحيدرية . النجف الأشرف . الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ص١٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٠٣، كركوش: تاريخ الحلة: ص١٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل:ج٧ ص٥٧٢، ٥٩٧، ٥٩٨.

(٤) النِّيلُ: بكسر أوله، بلفظ النيل الذي تصبغ به الثياب، علم لعدة مواضع: أحدها بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف الثقفي عام (٨٢هـ/٧٠١م)، كانت بلدة النيل مركز الإمارة المزيدية قبل تأسيس الحلة (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان: دار صادر . بيروت . الطبعة: الثانية١٩٩٥م ج٥ ص٣٣٤، كركوش: تاريخ الحلة: ص١٢) وهي الآن ناحية من نواحي محافظة بابل تبعد حوالي عشرة كيلو مترات عن آثار بابل (أحلام عبود: مدينة الحلة منذ تأسيسها حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي: مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية . ٢٠١٠م ص٣).

بعد أن ارتحل أبا الحسن بن مزيد إلى ريف النيل ذي الخصب الوفير انتشرت عشائره في أنحاء الفرات، وظل أميرًا على قومه حتى وفاته عام (٤٠٨هـ/١٠١٧م)[١].

**ثالثا: قيام إمارة بني مزيد وأمرائها (٤٠٣ــ٥٤٥هـ/١٠١٢ــ١١٥٠م)**

يعد أبو الحسن علي بن مزيد (٣٨٨ـ٤٠٨هـ/٩٩٨ـ١٠١٧م) هو مؤسس الإمارة المزيدية في بلدة النيل غرب بغداد، وأول أمراء تلك الإمارة، وبعد وفاته عام (٤٠٨هـ/١٠١٧م) تولى بعده ابنه دُبَيْس وكان في الرابعة عشرة من عمره آنذاك، فأقره سلطان الدولة البويهي أبو شجاع على ملك أبيه، واستمر في الحكم سبعاً وستين عامًا وتوفى عام (٤٧٤هـ/١٠٨١م)، فقام بعده ولده منصور أبو كامل وكانت الدولة البويهية قد زالت وحل محلها السلاجقة، ودام حكم منصور خمس سنوات وتوفى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) فتولى بعده ولده سيف الدولة صدقة (٤٧٩ــ٥٠١هـ/١٠٨٦ــ١١٠٧م)، وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة[٢]، وأسس مدينة الحلة[١] كعاصمة لدولته عام (٤٩٥هـ/١١٠١م)،

(١) كركوش: تاريخ الحلة: ص١٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١١١، وقد خضعت له القبائل الفراتية وامتدت إمارته إلى البصرة وواسط والبطيحة والكوفة وهيت وعانة والحديثة، وسيطر على أقوى القبائل العراقية في ذلك الوقت مثل بنو خفاجة وبنو عقيل وغيرهم، وقد اهتمّ بالشؤون الإدارية والعمرانية والثقافية. ورأى أفضل ما يعينه على ذلك هو العدل في الحكم. هذا بالإضافة عما كان يلقاه العلماء والأدباء في كنفه من الرعاية فأقبلوا عليه من كل ناحية. وفي سنة(٥٠١هـ/١١٠٧م) حصلت منافرة بين الأمير صدقة والسلطان محمد السلجوقي وذلك لأن الأمير صدقة آوى بعض الفارين من السلطان، ولم يسلمهم له وأظهر له الخلاف فهاجمه السلطان السلجوقي محمد وحدثت المعركة وانتهت بمقتل الأمير صدقة وكان عمره تسعا وخمسين سنة( ابن خلدون: تاريخه: ج٤ ص٣٦٢، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م): الأعلام: دار العلم للملايين . الطبعة: الخامسة =

وبعد وفاته عام (٥٠١هـ/١١٠٧م) تولى ابنه دُبَيْس بن صدقة والذي كان أسيرًا لدى السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه السلجوقي (٤٩٨ــ٥١١هـ/١١٠٤ــ١١١٨م) وبعد وفاة الأخير أطلق ولده السلطان محمود، دبيسا بن صدقة، وأعاده إلى الحلة عام (٥١٢هـ/١١١٨م) فأنشأ الدولة من جديد وسوف يأتي الحديث عنه بالتفصيل.

بعد وفاة دُبَيْس بن صدقة تولى أبنائه الثلاثة الحكم من بعده وكان أولهم صدقة بن دُبَيْس الذي مات قتيلًا عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م)، فخلفه في الحكم من بعده أخيه محمد حتى عام(٥٤٠هـ/١١٤٥م) حيث ثار عليه أخوه الثالث علي بن دُبَيْس فطرده من الحلة بعد أن هزمه وظل حاكمًا على الإمارة حتى وفاته عام (٥٤٥هـ/١١٥٠م)[٢].

---

=

عشر ٢٠٠٢م ج٣ ص٢٠٣، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية الأسديّة في الحلّة: دراسة في أحوالها السياسية والحضارية: المكتبة التخصصية التاريخية . إيران . الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ص١٣١ـ١٦٨).

(١) الحِلَّةُ: بالكسر ثم التشديد، وهو في اللغة القوم النزول وفيهم كثرة، والحلة: علم لعدة مواضع، أشهرها حلة بني مزيد: وهي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمّى الجامعين، وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور، وكانت منازل آبائه بلدة النيل، فلما قوي أمره واشتد أزره وكثرت الحروب بينه وبين سلاطين السلاجقة (بركياروق ومحمد وسنجر أولاد ملك شاه بن ألب أرسلان) انتقل إلى الجامعين موضع في غربي الفرات، وكان ذلك عام (٤٩٥هـ/١١٠١م) (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٢ ص٢٩٤).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٨ ص٤٤، ٨٢، ابن الأثير: الكامل: ج٩ ص١٣٧، ١٧٨، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص٢٠٢ـ٢١٠.

**جدول يوضح أسماء أمراء بني مزيد[١].**

| م | الاسم | الهجري | الميلادي | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| ١ | أبو الحسن علي بن مزيد | ٣٨٨ـ٤٠٨ | ٩٩٨ـ١٠١٧ | أول أمراء بني مزيد |
| ٢ | دُبَيْس بن علي | ٤٠٨ـ٤٧٤ | ١٠١٧ـ١٠٨١ | |
| ٣ | منصور بن دبيس | ٤٧٤ـ٤٧٩ | ١٠٨١ـ١٠٨٦ | |
| ٤ | صدقة بن منصور سيف الدولة | ٤٧٩ـ٥٠١ | ١٠٨٦ـ١١٠٧ | مؤسس الإمارة وباني مدينة الحلة |
| ٥ | دُبَيْس بن صدقة | ٥١٢ـ٥٢٩ | ١١١٨ـ١١٣٤ | رجع من الحبس وأعاد الحكم المزيدي مرة أخرى. |
| ٦ | صدقة بن دبيس | ٥٢٩ـ٥٣٢ | ١١٣٤ـ١١٣٧ | |
| ٧ | محمد بن دبيس | ٥٣٢ـ٥٤٠ | ١١٣٧ـ١١٤٥ | |
| ٨ | علي بن دُبَيْس | ٥٤٠ـ٥٤٥ | ١١٤٥ـ١١٥٠ | آخر أمراء بني مزيد. |

(١) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في الإسلام: ترجمة / زكي محمد حسن وآخرون ـ دار الرائد ـ بيروت ـ لبنان ـ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص٢٠٧، ٢٠٨.

## الأمير دُبَيْس بن صدقة (٥١٢ـ٥٢٩هـ/١١١٨ـ١١٣٤م)

**ترجمته، حياته، ووصوله إلى الحكم.**

**أولًا: ترجمته.**

هو دُبَيْس بن صدقة بن منصور بن دُبَيْس بن علي بن مزيد الأسدي ويعرف بدبيس الثاني تمييزًا له عن دبيس الأول بن علي[١]، ودبيس الثاني هو خامس أمراء بني مزيد[٢].

لقبه: أبو الأعز، نور الدولة، ملك العرب، صاحب الحلة المزيدية، وأمير بادية العراق[٣].

اختلف المؤرخون في وصفه: فمنهم من قال: بأنه كان جوادًا كريمًا من الشجعان الأشداء، موصوفًا بالحزم والهيبة، عارفًا بالأدب والشعر[١]، ومنهم من يصفه بالشر وارتكاب الكبائر، وكان حاسدًا لا يعجب بشيء إلّا هلك [٢].

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص٢٠٨، ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م): بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق/ سهيل زكار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ج٧ ص٣٤٧٨، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ د. ط ١٩٠٠م ج٢ ص٢٦٣، الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير وَالأعلام: تحقيق/ بشار عوّاد معروف ـ دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م ج١١ ص٤٨٦، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات: تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ـ دار إحياء التراث ـ بيروت١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ج١٣ ص٣٢١.

(٢) عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص٨٩ـ ٢١٣، زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في الإسلام: ص٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٢ ص٢٦٣، الصفدي: الوافي بالوفيات: ج١٣ ص٣٢١.

**ثانيًا: حياته قبل عام (٥١٢هـ/١١١٨م) .**

تعد الفترة الواقعة قبل عام (٥١٢هـ/١١١٨م) غامضة في حياة دُبَيْس بن صدقة، فليس هناك معلومات حول نشأته أو نشاطه، سوى ما أورده بعض المؤرخين من مشاركته لبعض الحملات العسكرية في حياة والده، من هذه الحملات ما يلي:

في عام (٤٩٤هـ/١١٠٠م) شارك دُبَيْس بن صدقة مع السلطان السلجوقي باركياروق (٤٨٧ ـ٤٩٨هـ/١٠٩٤ـ١١٠٤م)[٣] في الحرب الدائرة بينه وبين أخيه السلطان محمد (٤٩٨ـ٥١١هـ /١١٠٤ـ١١١٨م)[٤]، لكن بعد أن ضاقت عليهم الميرة وتفرقت عساكر السلطان باركياروق عاد دُبَيْس بن صدقة إلى أبيه[٥].

---

=

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام: ج١١ ص٤٨٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٢ ص٢٦٣، ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق/ محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ج٦ ص١٤٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق: (٤٢٩ـ٥٩٠هـ/١٠٣٨ـ١١٩٤م): دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م ص١٠٩.

(٤) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: ص٣٣٣، محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة: ص١٨١.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨ ص٤٤٣، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٦٨.

وفي نفس العام(٤٩٤هـ/١١٠٠م) خرج أبيه الأمير صدقة صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركياروق، وقطع خطبته من بلاده، وخطب فيها لأخيه السلطان محمد(١).

وفي عام (٥٠١هـ/١١٠٧م) خرج الأمير صدقة عن طاعة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، وظهر منه أمور أنكرها السلطان، فجمع أصحابه ليستشيرهم في الأمر، فأشار عليه ابنه دُبَيْس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال، والخيل، والهدايا ليستعطفه، لكن أباه رفض هذا الأمر وأخذ برأي سعيد بن حميد، صاحب جيش صدقة بالمحاربة(٢).

ولما قامت الحرب بينهما شارك دُبَيْس مع أبيه، وبعد مقتل الأخير أسر السلطان محمد بن ملكشاه (دُبَيْس بن صَدَقَة) مع جماعة من أتباع أبيه(٣).

ومنذ مقتل صدقة بن منصور عام (٥٠١هـ/١١٠٨م) وأسر ابنه دبيس، وحتى عام (٥١٢هـ/ ١١١٨م) وهو العام الذي رجع فيه دُبَيْس بن صدقة إلى إمارته. سكتت كتب التاريخ عن كيفية إدارة إمارة بني مزيد خلال هذه الفترة، فليس هناك معلومات وافية عن هذه المدة سوى ما ذكره بعض شعراء منطقة الحلة الذين آلمهم أن تمنح بلادهم كإقطاعات لبعض أمراء الترك والأكراد، فرثوا لحال بلادهم، ووازنوا بين ماضيها المشرق في عهد بني مزيد، وحاضرها المؤلم في عهد الأعاجم(٤).

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨ ص٤٤٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨ ص٥٥٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٠٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨ ص٥٥٥، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٦٨.

(٤) يقول العماد الأصفهاني:" لما قتل سيف الدولة صدقة سنة إحدى وخمس مئة، وأقطع بلاده الأكراد وغيرهم، وضمن كشف تلك الأعمال رجل يقال له ثابت بن سلطان بن ثابت، =

عودة دُبَيْس بن صَدَقَة إلى حكم إمارة بني مزيد (٥١٢هـ/١١١٨م)

مكث دُبَيْس بن صَدَقَة في الأسر ما يزيد عن عشر سنوات من عام (٥٠١هـ/١١٠٨م) وحتى عام (٥١٢هـ/ ١١١٨م) وهو العام الذي عاد فيه إلى حكم إمارة بني مزيد بعد وفاة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (٤٩٨ـ٥١١هـ /١١٠٤ـ١١١٨م)، ويحدثنا بعض المؤرخين عن الظروف التي تتعلق بعودة

---

=

ومن الأكراد جماعة يقال لهم بشيرية وجماعة نرجسية، أنشأ مرجى قصيدة، منها:

**لقد سَنَّ للسُّلطان ثابتُ سُنَّةً ********* فلا يأمَنِ السُّلطانَ زيدٌ ولا عمرو**

**مُوافقةَ النُّظَارِ والكشفَ عنهمُ ********* ولو كان ممّن لا يَصِحّ له العُشْرُ**

**وقد كثُرَ الإقطاعُ حتّى أظُنُّه ********* سيُقطَعُ كلبٌ بالجَزِيرة أو هِرُّ**

**ثلاثونَ ألفاً للبَشِيريّ وحدَه ********* فدَعْ عنك ممّن لا يجوزُ له ذكرُ**

**وعشرون ألفاً أُقطعت نرجسيّةٌ ********* كثيرٌ لها ألفٌ ولو أنَّها بَعْرُ**

**ولولا سَفاهُ الرَّأيِ كان عليهِمُ ********* من الغَنَم الأعشارُ والصُّوف**

**فشَطْرٌ لأتراك ومن دونِها ********* وشَطْرٌ لأكرادٍ ومن شأنِها الغدرُ**

**وشَطْرٌ لكُتَّابٍ وما فيهِمُ صدرُ ********* وشَطْرٌ لحُجّابٍ وما بِهِمُ فخرُ**

**وشَطْرٌ لِصبيانٍ يتامى ونِسوةٍ ********* أَيامى وما في برٍّ أكثرِهم أجرُ**

**وفي هِيتَ والأنْبارِ للنّاس عِبْرَةٌ ********* إذا أبصروا يُمْناً كما انكسف البدرُ**

**كانَّ غُراباً فوقَ أعوادِ سَرْحَة ********* لكَ الخيرُ إن لاقيتَهُ وله الشَّرُّ**

**كأَنَّ عليه حُلَّةً من إهابه ********* وقد طُلِيت بالقار أو مَسَّها الحِبرُ**

(محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن ألّه، أبو عبد الله (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق الجزء الرابع ـ المجلد الثاني: تحقيق وشرح/ محمد بهجة الأثري ـ الجمهورية العراقية – وزارة الإعلام – مديرية الثقافة العامة – سلسلة كتب التراث (٢٤) ج١ ص٥٣٥، ٥٣٦، ، بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٤، ١٩٥).

دُبَيْس إلى حكم إمارة بني مزيد، فيذكر ابن الجوزي:" أن دبيسًا أقسم للسلطان على الطاعة والولاء وخلوص النية فأطلق سراحه"(١).

**بينما ذكر ابن الأثير روايتان:**

الأولى في حوادث عام (٥٠١هـ/١١٠٨م) فيذكر:" أن السلطان محمد أرسل أمانًا لزوجة صدقة، وأمرها بالمجيء إلى بغداد، فأطلق السلطان ابنها دبيسًا، وأنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقائها، فلما لقيها ابنها بكى بكاءً شديدًا، ولما وصلت إلى بغداد أحضرها السلطان، واعتذر من قتل زوجها، واستحلف ابنها دبيسا أنه لا يسعى بفساد"(٢).

أما الرواية الثانية فجاءت في حوادث عام (٥١٢هـ) فيذكر: "أن الأمير دُبَيْس بن صدقة بعد وفاة السلطان محمد خاطب ابنه السلطان محمود في العودة إلى بلده الحلة، فأذن له في ذلك، فعاد إليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب، والأكراد، وغيرهم"(٣).

والذي يبدو من الروايات: أن السلطان محمد اعتذر لزوجة صدقة عن مقتل زوجها وأطلق ابنها دُبَيْس من الأسر عام (٥٠١هـ/١١٠٨م) بعد أن استحلفه بطاعته وعدم الخروج عليه، لكن يبدو أن السلطان لم يثق به تمام الوثوق، فلم يسمح بعودته إلى الحلة وإدارتها، فأبقى عليه عنده وأكرمه منذ عام (٥٠١هـ/ ١١٠٨م) وحتى عام (٥١٢هـ/ ١١١٨م) أي بعد وفاة السلطان محمد عام (٥١١هـ/١١١٧م) ويؤكد ذلك ما ذكره ابن الأثير في الرواية الثانية والتي يقول فيها:" إن الأمير دُبَيْس بن صدقة كان عند السلطان محمد منذ قتل والده،

(١) المنتظم: ج١٧ ص١٠٨، ١٠٩.

(٢) الكامل: ج٨ ص٥٥٦.

(٣) نفس المصدر: ج٨ ص٦٢٦.

فأحسن إليه، وأقطعه إقطاعًا كثيرًا، فلما توفى السلطان محمد خاطب السلطان محمود في العودة إلى بلده الحلة، فأذن له في ذلك..."[١].

ويذكر البعض: أن الأمير دُبَيْس كان يعمل ويخطط لإعادة بناء إمارته طوال فترة أسره، فما إن توفى السلطان محمد وتولى مكانه ابنه السلطان محمود حتى طلب منها السماح له بالعودة إلى الحلة لإدارة إمارته، وبالفعل سمح له السلطان بذلك، وحينما عاد إلى الحلة اجتمع حوله كثير من العرب، والأكراد، فأصبح مركزه قويًا وارتفع شأنه، وعظمت مكانته[٢].

بعد عودة دُبَيْس إلى الحلة أنشأ الدولة من جديد، وقد تمكنت سلطته في البلاد واجتمعت عليه القبائل العربية والكردية، يرى البعض أن دُبَيْس كان رجلًا حربيًا، وقائدًا محنكًا، بصيرًا بفنون الحرب خبيرًا بشئون السياسة، وكان على جانب عظيم من الشجاعة والفروسية، وقوة الاعتماد على النفس يخوض غمار الحرب غير هياب ولا وجل، وكانت تتمثل فيه شيم العروبة[٣].

مدحه بعض المؤرخين وذمه البعض الآخر، فكان ممن مدحه ابن خلكان حيث قال: "دُبَيْس بن سيف الدولة الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة المزيدية، كان جوادًا كريمًا، عنده معرفة بالأدب والشعر وتمكن في خلافة المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق، وهو من بيت كبير...."[٤].

وقال عنه ابن الطقطقي:" وكان دُبَيْس بن صدقة أحد أجواد الدّنيا، وكان صاحب الدار والجار، والحمى والذّمار وكانت أيامه أعيادًا، وكانت الحلّة في

(١) نفس المصدر: ج٨ ص٦٢٦.
(٢) عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٠.
(٣) كركوش: تاريخ الحلة: ص٣٣.
(٤) وفيات الأعيان: ج٢ ص٢٦٣.

زمانه محطّ الرّحال، وملجأ بني الآمال، ومأوى الطّريد، ومعتصم الخائف الشّريد.."[١].

وكان ممن ذمه ابن الجوزي فقال:" ثم نشأ دُبَيْس ففعل القبائح، ولقي الناس منه فنون الأذى، ...."[٢].

وكان ممن ذمه أيضًا ابن تغري بردي فيقول عنه:" وكان شرّ أهل بيته، يرتكب الكبائر ويفعل العظائم، ولقى منه الخليفة والمسلمون شرورًا كثيرة، وأبطل الحجّ، وأباح الفروج في شهر رمضان"[٣].

**علاقات دُبَيْس بن صدقة الخارجية.**

من المظاهر السياسية التي تميزت بها فترة حكم دبيس بن صدقة التوسع في تكوين علاقات مع بعض القوى الخارجية. ويرى البعض أن السبب في ذلك: هو نتيجة الفشل المتكرر في سياسته الخارجية والتي ألزمته أن يلجأ إلى المشاركة مع قوى أخرى وتكوين كتل سياسية خاصة من أجل تحقيق أهدافه[٤].

(١) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: تحقيق/ عبد القادر محمد مايو ـ دار القلم العربي ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٧م ص٢٩٠.

(٢) المنتظم: ج١٧ ص٢٠٩.

(٣) ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب ـ مصر ج٥ ص٢٥٦.

(٤) عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٢.

**وقد تمثلت علاقات دبيس الخارجية في الآتي:**

أولًا : علاقته بالخلافة العباسية.

ثانيًا : علاقته بالسلاجقة.

ثالثًا : تعاون دُبيس بن صدقة مع الصليبيين.

**أولًا: علاقته بالخلافة العباسية.**

غلب طابع العداء على العلاقة بين أمراء بني مزيد والخلافة العباسية بصفة عامة، ولم تدم العلاقات الودية بينهما إلا في أوقات قليلة، وكان من بين الأسباب التي أدت إلى تغليب طابع العداء بينهما ما يأتي:

**١ــ تشيع بني مزيد.**

كان بنو مزيد بطن من قبيلة أسد المتشيعين لعلي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ وأولاده، وهذا الاتجاه المذهبي كان له أثر واضح في توتر العلاقات بين أمراء بني مزيد والخلافة العباسية السنية(١).

**٢ــ ضعف بني بويه وتطلع الشيعة إلى بني مزيد على أنهم القوة القادرة على حمايتهم وتوفير الأمن لهم.**

قامت إمارة بني مزيد عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م) في عصر قوة البويهيين وأقصى درجات سلطانهم، لكن بعد وفاة الأمير البويهي عضد الدولة عام (٣٧٢هـ/٩٨٣م)(٢) دبت الخلافات والحروب بين أبنائه مما أدى إلى ضعف البويهيين وعدم قدرتهم على تلبية متطلبات عامة الشيعة الذين رأوا في بني مزيد القدرة والقوة على تلبية احتياجاتهم من توفير الحماية والأمن وإقامة مظاهر الاحتفال بأعيادهم، وكان بنو مزيد عند حسن ظن الشيعة، ويدل على ذلك ما

(١) بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢١١.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٣٨٨.

حدث عام (٤٤٣هـ/١٠٥١م) فقد تجددت الفتنة بين السنة والشيعة في بغداد فأحرق السنة بعض مشاهد الشيعة، فلما علم بذلك نور الدولة دُبَيْس (الأول) بن مزيد: "عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه وأهل بيته وسائر أعماله كلهم شيعة"(١).

وكان رد فعله أنه قطع الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ـ٤٦٧هـ/١٠٣٠ـ١٠٧٤م) في كل أعماله، ولم يملك الخليفة أمام ذلك سوى العتاب، فاعتذر دُبَيْس للخليفة بأن رعيته كلهم من الشيعة، وقد طالبوه بهذا الأمر فلم يستطع أن يشق عليهم ولم ينس في هذا الاعتذار أن يرمي الخليفة بالعجز عن ضبط الأمور في عاصمته، فأشار الي أن الخليفة هو الذي ألجأه إلى هذا السلوك عندما عجز عن كف السفهاء الذين فعلوا بالمشاهد الشيعية ما فعلوه(٢)، وبعد توجيه هذا اللوم إلى الخليفة أعاد له الخطبة(٣).

**٣ـ قضية اللجوء السياسي.**

كان من بين الأسباب التي أدت إلى توتر العلاقات بين الخلفاء العباسيين وأمراء بني مزيد هي قضية اللجوء السياسي، فقد كان أمراء بني مزيد يحرصون على التمسك بتقاليدهم العربية، ومنها حماية المستجير بهم والدفاع عنه، حتى ولو أدى ذلك إلى غضب الخلفاء العباسيين أو السلاطين السلاجقة منهم، كما كان لبعض أمرائهم النفوذ القوي في قصر الخلافة، فعندما عزل فخر الدولة ابن جهير(٤) من الوزارة عام (٤٦٠هـ/١٠٦٨م) لجأ إلى دُبَيْس(الأول) بن علي

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٩٦، ٩٧. بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢١١.

(٢) ابن الأثير: نفس المصدر: ج٨ ص٩٧. بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢١١.

(٣) بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢١١، ٢١٢.

(٤) فخر الدولة: هو محمد بن محمد بن جهير التغلبي ولد في الموصل عام (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وتوفي بها عام (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) وتقلبت بها الأحوال فخدم العقيليين =

(٤٠٨-٤٧٤هـ/١٠١٧-١٠٨١م) فشفع له عند الخليفة العباسي فأعاده إلى الوزارة مرة أخرى(١).

وفي عام (٤٩٤هـ/١١٠١م) فر أبو القاسم علي بن فخر الدولة(٢) من اعتقال الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) وسار إلى سيف الدولة صدقة (الأول) فأمنه وظل عنده إلى أن استقدمه الخليفة المستظهر بالله وأسند إليه الوزارة عام (٤٩٦هـ/١١٠٣م)(٣).

وكان لسيف الدولة صدقة بن منصور (٤٧٩-٥٠١هـ/١٠٨٦-١١٠٧م) دارًا في عاصمة الخلافة العباسية، وكانت ملجأ لكل ملهوف من لجأ إليها

---

=

وبني مروان ثم انحدر إلى بغداد عام (٤٥٤هـ/١٠٦٢م) ووزر للخليفة القائم بأمر الله، ثم عزل عن الوزارة وأعيد إليها عام (٤٦١هـ/١١٠٩م) وظل في وزارته الثانية بقية خلافة القائم بأمر (ت٤٦٧هـ/١٠٧٤م) وبعضا من خلافة المقتدى (٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م) حيث عزله هذا الخليفة عام (٤٧١هـ/١٠٧٨م) ثم خرج من بغداد عام (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) وقصد السلطان السلجوقي ملكشاه والذي سيره للاستيلاء على ممتلكات المروانيين في ديار بكر وغيرها وأخيرًا حط رحاله في الموصل وتوفي بها عام (٤٨٣هـ/١٠٩٠م)

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٢١٤، ٢١٥، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢١٤.

(٢) هو على بن محمد محمد بن جهير، أبو القاسم ويلقب بالزعيم، كان في أيام الخليفة القائم بأمر الله وبعض أيام المقتدى يتولى كتابة ديوان الزمام، ووزر للخليفة للمستظهر مرتين فبقي في الوزارة الأولى ثلاث سنين وخمسة أشهر وولى بعده أبو المعالي ابن المطلب، ثم عزل وأعيد الزعيم الى الوزارة فبقي فيها خمس سنين وكان معروفا بالحلم والرزانة وجودة الرأى وحسن التدبير، وتوفى سنة (٥٠٨هـ/١١١٤م) (ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٤١، ١٤٢).

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٤٩١، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢١٤.

مستجيرًا حتى ولو لم يكن صاحبها موجودًا لم يستطع أحد أن يمسه بسوء، وفي عام (٥٠٠هـ/١١٠٦م) عزل أبو القاسم علي بن محمد بن جهير من الوزارة، فلجأ إلى دار صدقة محتميًا بها، فأرسل إليه صدقة من حمله إليه في الحلة، ولم يجد الخليفة العباسي المستظهر بالله ما يشفي به غليله سوى أن أمر بهدم هذه الدار[١].

وفي عام (٥٠١هـ/١١٠٧م) دفع الأمير صدقة حياته ثمنًا لإجارته سرخاب الديلمي[٢] الفار من السلطان محمد بن ملكشاه، فوقع الخلاف بين سيف الدولة صدقة وبين السلطان السلجوقي وقامت الحرب بينهما وانتهت بقتل صدقة وأسر ابنه دبيس وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

هكذا كانت قضية اللجوء السياسي من أسباب تدهور العلاقات بين أمراء بني مزيد بصفة عامة والخلافة العباسية.

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٥٤٧، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢١٥.

(٢) سرخاب الديلمي: أبو دلف سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب ساوه وآبة (مدينتان من نواحي قم) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة (٤٩٥هـ) أنه كان مع عسكر السلطان بركياروق السلجوقي لما وقع الحرب بين بركياروق وأخيه محمد وكان الأمير ينال بن انوشتكين الحسامي مع عسكر السلطان محمد فحمل سرخاب على ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر السلطان محمد، وفي عام (٥٠١هـ) سخط السلطان محمد على سرخاب فهرب منه وقصد صدقة بن مزيد الذي كان يستجير به كل ملهوف فطلبه السلطان من صدقة فلم يسلمه إضافة إلى ذلك أمور أخرى أوجبت الزيادة في غضب السلطان على سرخاب وجرت في ذلك مراسلات ووساطات إلى أن شرط صدقة في الصلح أن يقر السلطان السلجوقي سرخاب على أقطاعه بساوة فلم يتم الصلح ووقع الحرب بين السلطان وصدقة وقتل صدقة وأسر سرخاب بن كيخسرو الذي كانت هذه الحرب
بسببه وقتل بعد ذلك (ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٥٥٠ـ٥٥٥).

**علاقة دُبيس بن صدقة بالخلافة العباسية.**

عاصر دُبيس بن صدقة خليفة واحد من الخلفاء العباسيين وهو المسترشد بالله[١](٥١٢ـ٥٢٩هـ/ ١١١٨ـ١١٣٥م) ومن المفارقات العجيبة أن فترة حكمهما كانت واحدة وهي الفترة (٥١٢ـ٥٢٩هـ/ ١١١٨ـ١١٣٥م) إذ تولى كلاهما عام (٥١٢هـ/١١١٨م) وقتل كلاهما عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م).

كانت علاقة دُبيس بن صدقة مع الخليفة المسترشد قائمة على تحقيق مصالحه، فكان يستغل الخلاف القائم بين المسترشد والسلاجقة لتحقيق مصلحته الشخصية، فإذا كانت المصلحة تتطلب أن تكون العلاقة قائمة على الولاء للخليفة فعل ذلك وإن كانت تتطلب خلاف ذلك انحاز إلى سلاطين السلاجقة

(١) المسترشد بالله: أبو منصور الفضل بن أحمد (المستظهر بالله) بن عبد الله (المقتدي بأمر الله) الخليفة التاسع والعشرون من خلفاء الدولة العباسية، ولد في ربيع الأول عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وقيل عام (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) خطب له أبوه بولاية العهد ونقش اسمه على السكة في ربيع الأول عام (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) بُويِعَ بالخلافة بعد موت أَبِيه فِي شهر ربيع الآخر عام (٥١٢هـ/١١١٨م) كان المسترشد شهمًا، ذا همة ومعرفة وعقل، كما كان دينًا مشتغلًا بالعبادة، سلك فِي الخلافة سيرة القادر، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وقال الشعر، ومن شعره (أَنا الْأَشْقَر الْمَوْعُود بِي فِي الْمَلَاحِم ... وَمن يملك الدُّنْيَا بِغَيْر مُزَاحم) كما كان فارسًا و قائدًا شجاعًا قاد الجيش بنفسه، وكان يتطلع إلى الاستقلال والتخلص من السيطرة السلجوقية، ظل في الحكم سبع عشرة عامًا وقتل على أيدي الباطنية عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م) (ابن النجار محب الدين ابي عبد الله محمد بن محمود البغدادي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م): ذيل تاريخ بغداد: تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ج٥ ص١٤٣ وما بعدها، ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب بصلاح الدين (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): فوات الوفيات تحقيق/ إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٩٧٤م ج٣ ص١٧٩).

ضد الخليفة، وهذا يفسر ازدواجية ولائه للخليفة العباسي تارة، وللسلطان السلجوقي تارة أخرى(١).

كانت علاقة دبيس مع الخليفة المسترشد في البداية علاقة حسنة، فمنذ أن تولى المسترشد مقاليد الخلافة بايعه دبيس وأعلن ولائه له، غير أن قضية اللجوء السياسي التي أشرت لها سابقًا كان لها أثر كبير في تعكير صفو العلاقة بين الطرفين إلى حد ما، ففي عام (٥١٢هـ/١١١٨م) وهو العام الذي تولى فيه المسترشد الخلافة هرب شقيقه الأمير أبو الحسن بن المستظهر من بغداد وذهب إلى دبيس بن صدقة في الحلة يطلب منه الحماية، فاستقبله وأكرمه وأنزله في دار خاصة، وكان يدخل عليه كل يوم ويقبل الأرض بين يديه، ولما علم الخليفة المسترشد بذلك أرسل إلى دبيس بن صدقة أحد مبعوثيه ليتأكد من حسن نواياه ومبايعته له أولًا، ولكي يسترجع أخاه ثانيًا، أما دبيس فقد أكد على بيعته للمسترشد غير أنه لم يرض بإكراه ابن المستظهر على مغادرة الحلة(٢).

نستنتج مما سبق: أن دبيس بن صدقة كان يضمر شيئا ما، ويرى البعض(٣) أن مقدار الاحترام والكرم الذي أظهره دبيس لابن المستظهر يستدل منه أن دبيس جعل شقيق الخليفة وسيلة تهديد للخليفة، ومن الممكن أيضًا أن يكون دبيس قد اتفق مع ابن المستظهر على مساعدته في تسلم الخلافة، ويستدل على ذلك أن الخليفة طلب من رسوله أن يأخذ البيعة من دبيس أولًا.

(١)عادل محي الدين الآلوسي: الخليفة المسترشد بالله العباسي: بحث منشور بكلية القانون والسياسة ـ جامعة بغداد ـ بدون بيانات ـ ص٥٠٠.

(٢)ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٦٢، ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٢٩، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٨٦.

(٣) عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٨٧.

على كل حال فقد ظل ابن المستظهر مقيمًا عند دبيس بن صدقة في الحلة حتى الثاني عشر من شهر صفر عام (٥١٣هـ/١١١٩م) ولما وجد شقيق الخليفة أن أخاه يلح في طلبه هرب من الحلة ملتجأ إلى واسط، حيث استطاع أن يجمع حوله الكثير وقويت شوكته، وملك مدينة واسط، وخيف جانبه، فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولي عهده ولده أبي جعفر المنصور، وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة، فخطب له ثاني ربيع الآخر ببغداد، وكتب إلى البلاد بالخطبة له(١).

كما أن هروب ابن المستظهر من الحلة جعل الموقف يتأزم بين الخليفة ودبيس بن صدقة، مما جعل الخليفة يرسل إلى دبيس برسالة مفادها: "أن أبا الحسن، قد فارق جوار دبيس، ومد يده إلى بلاد الخليفة وما يتعلق به، كما أمر دبيس بقصده ومعاجلته قبل قوته..."(٢).

لم يكن أمام دبيس إلا أن استجاب لطلب الخليفة المسترشد وجمع عساكره وتوجه بهم نحو واسط لإلقاء القبض على شقيق الخليفة، وبالفعل فقد نجح في ذلك بعد أن تفرق جند الأمير أبي الحسن من حوله، فقبض عليه دبيس وأرسله إلى الخليفة في بغداد، ولما دخل الأمير أبو الحسن على المسترشد بالله قبل قدمه، وقبله المسترشد، وبكيا، وأنزله دارًا حسنة كان هو يسكنها قبل أن يلي الخلافة، وحمل إليه الخلع، والتحف الكثيرة، وطيب نفسه وأمنه(٣).

ويمكن القول: أن دبيس قد فعل ذلك لأنه تيقن من ضعف ابن المستظهر وأن الأمل في أن يكون هو الخليفة أصبح أمرًا مستحيلًا، كما أنه سوف يجلب لنفسه المتاعب وأنه لا طاقة له بمواجهة الخليفة المسترشد إذا لم يتمكن من

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٢٩، ٦٣٠.

(٢) ابن الأثير: نفس المصدر: ج٨ ص٦٢٩، ٦٣٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٧٢، ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٢٩، ٦٣٠.

القبض على شقيق الخليفة وتسليمه له، ولذلك فقد فضل دبيس طاعة الخليفة الشرعي بدلًا من ابن المستظهر الذي أصبح لا يملك من الأمر شيء.

كانت هذه الحادثة أول الحوادث التي أدت إلى تعكير صفو العلاقة بين الخليفة ودبيس بن صدقة، وتشير المصادر إلى حادثة أخرى كان لها أثرها السيئ على العلاقة بين الطرفين، ففي نفس العام (٥١٢هـ/ ١١١٨م) أضاف الخليفة دار صدقة بن مزيد التي كانت في بغداد إلى جامع القصر نتيجة لحاجته لبعض الأموال، فاعتبر دبيس أن هذا الأمر محاولة لإهانته، فجمع الفقهاء لكي يستشيرهم في ذلك فأفتوه بعدم جواز أخذ الدار، فما كان منه إلا أن طلب من الخليفة حقوقه فيها، فقام الخليفة بمصالحة دبيس ببعض الهدايا والأموال(١).

وفي رأيي: أن ضم الخليفة دار صدقة بن منصور إلى جامع القصر جاءت كرد فعل على عدم تسليم دبيس للأمير أبي الحسن شقيق الخليفة له، لأن هذه الحادثة جاءت بعد إرسال الخليفة مبعوثه لدبيس يطلب منه تسليم أخيه مباشرة.

بعد هذه الحوادث أخذ الخليفة المسترشد يترقب الأحداث السياسية والمتمثلة في الصراع الدائر بين دبيس وبين سلاطين السلاجقة(٢)، كما أنه كان يحاول إيجاد قوة عسكرية يمكنه الاعتماد عليها فحاول تقريب آقسنقر البرسقي شحنة بغداد والذي كان بينه وبين دبيس بصفة خاصة وبني مزيد بصفة عامة عداوة قديمة منذ أيام صدقة والد دبيس(٣).

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٣٠.

(٢) سيأتي تفاصيل ذلك.

(٣) كان البرسقي يريد الاستيلاء على قلعة تكريت ولكن صاحبها أعطاها للأمير صدقة، إضافة إلى تضارب المصالح السياسية ساعدت على توسيع هوة الخلاف بينهما(عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٨٨).

تجهز البرسقي عام (٥١٢هـ/١١١٨م) وأراد الذهاب إلى الحلة لإجلاء دبيس عنها غير أن هناك أطراف أخرى دخلت المعركة حيث دخل السلطان السلجوقي مسعود إلى جانب البرسقي، وانضم منكبرس[١] إلى دبيس، وفي النهاية انتهت المعركة بعقد صلح بين الطرفين، وقد خسر الخليفة حليفًا قويًا وهو البرسقي بعد أن تشتت عنه جنوده فاضطر إلى ترك بغداد والتحق بالسلطان مسعود، بينما أصبح منكبرس والذي كان على علاقة حسنة بدبيس هو شحنة بغداد الجديد[٢].

بعد هذه الحادثة أخذ الخليفة يقف موقفًا سلبيًا من دبيس بن صدقة وأعماله، ففي عام (٥١٤هـ/١١٢٠م)

ظهرت نوايا دبيس التوسعية وخاصة بعد انتصار السلطان محمود على أخيه مسعود، فانتهز دبيس الفرصة وعاث في الحلة وما جاورها فسادًا وتخريبًا[٣]، بل تمادى في تحدي الخليفة المسترشد والسلطان محمود فسار إلى بغداد يريد الاستيلاء عليها، فأغضب ذلك السلطان وتجهز للمسير إلى الحلة لتأديب دبيس الذي عاد إليها، ولما علم بمسير السلطان لتأديبه أرسل زوجته

(١) الأمير عماد الدين منكبرس كان أحد الأمراء الكبار في الدولة السلجوقية وفي سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه قدم العراق وكان في اضطراب واختلال احوال لكثرة الامراء المختلفين المتنازعين على الحكم، فاستماله الأمير دبيس بن صدقة، وصار منكبرس شحنة لبغداد وأخذ يظلم الناس ويعسفهم ويصادرهم وحينما سمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد أرسل إليه يستدعيه ويحثّه على اللحاق به وهو يغالط ويدافع ويلح في جمع الأموال والمصادرات ثم هرب من بغداد وحضر حرب السلطان محمود مع عمه سنجر ثم قتله السلطان محمود سنة (٥١٣هـ/١١١٩م) (ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٣٢).

(٢) عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٨٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٥١، عادل الآلوسي: الخليفة المسترشد: ص٥٠٠.

للسلطان محملة بالهدايا والأموال لكي تطلب منه العفو عن دبيس، كما أنه غادر الحلة حتى لا يقع في أيدي السلطان، وانتهى الأمر بعقد اتفاق صلح بينهما بشرط أن يرسل دبيس أخاه وابنه كرهائن عند السلطان حتى يضمن ولائه(١).

هذا الصلح لم يعجب الخليفة المسترشد، فأرسل إلى السلطان محمود يطلب منه إبعاد دبيس عن العراق إلى بعض النواحي، وفي عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) أعاد الخليفة الشكوى من دبيس، وذكر أنه يطالب الناس بحقوقه، منها قتل أبيه، وأشار أن يحضر السلطان آقسنقر البرسقي من الموصل، ويوليه شحنة ببغداد والعراق، ويجعله في وجه دبيس (٢).

استجاب السلطان لطلب الخليفة، الذي قام باستدعاء البرسقي على الفور وطلب منه مواجهة دبيس، والتقى الفريقان شرق الفرات وانتهت المواجهة بانتصار دبيس ودخوله بغداد طالبًا من الخليفة العفو والصفح، وفي عام (٥١٧هـ/١١٢٣م) لم يلبث دبيس أن عاد إلى التهديد والوعيد مطالبًا الخليفة بإطلاق سراح ابنه وشقيقه، كما بالغ في الوعيد فلبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد، وقد نجح دبيس في جمع بعض القبائل العربية حوله وهاجموا البصرة وقاموا بنهبها وقتل مقدم عسكرها(٣).

ثارت ثائرة الخليفة، وجهز جيشًا والتقى بدبيس الذي هزم وفر هاربًا إلى قلعة جعبر (٤).

---

(١) عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٩، عادل الآلوسي: الخليفة المسترشد: ص٥٠١.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٧٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٥١، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٧، ١٧٨.

(٤) قلعة جعبر: تقع على نهر الفرات بين بالس والرّقة، قرب صفّين، كانت قديمًا تسمّى دوسر، فملكها رجل من بنى قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك، فنسبت إليه (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٢ ص١٤٢) وهي اليوم تتبع محافظة الرقة بسوريا وتبعد عنها ٥٠ كيلو متر تقريبًا (موقع الموسوعة الحرة بتصرف).

كانت هذه أول مواجهة بين دبيس والخليفة، ثم تعددت المواجهات بعد ذلك.

ويرى البعض[١] أن دبيس أخطأ بمواجهته للخليفة، لأنه مهما غلب الأخير على أمره من قبل الأتراك، وتجبروا وتسلطوا عليه، فإن للقبائل العربية تجاه الخليفة موقف آخر، وذلك لأنهم يرونه رمزًا لكيانهم وسلطانهم في مواجهة الترك المستبدين بأمورهم، وقد كان معظم جيش دبيس يتألف من القبائل العربية، ولم يستوعب دبيس الفرق بين أن يواجه سلاطين السلاجقة بهذه القبائل، وبين أن يواجه بهم الخليفة العباسي، الأمر الذي ترتب عليه فرار معظم جيشه من حوله، ثم هزيمته وفراره إلى الشام رغم تفوق جيشه على جيش الخليفة في العدد والعدة[٢].

وفي رأيي: أن المشكلة لا تكمن في كون دبيس قد واجه الخليفة بجيش مكون من العرب، فهذا أمر طبيعي فالمصالح السياسية والشخصية قد تتطلب أكثر من ذلك، فربما يواجه الابن أباه أو العكس لتحقيق الأطماع الشخصية، لكن المشكلة من وجهة نظري تكمن في مواجهة دبيس للخليفة من الأساس، فقد كان الأخير أكثر الداعمين له في بداية أمره وحاول مرارًا وتكرارًا الصلح بينه وبين السلطان محمود رغم الأخطاء التي ارتكبها دبيس في حق الخليفة، فكان من مصلحة دبيس أن يكون الخليفة بجانبه عند مواجهة السلاجقة.

على كل حال فقد فر دبيس ملتجئًا هذه المرة إلى الملك طغرل بن ملكشاه مستغلًا خلافه مع أخيه السلطان محمود واتفق معه على المسير إلى بغداد، وقد كانت هذه السياسية المتبعة لدى دبيس وهي تزكية الصراع بين السلاطين يقول

(١) عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٨.

(٢) كان جيش الخليفة حوالي ثلاثة عشر ألفا، وجيش دبيس حوالي ثنتين وعشرين ألف (ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٨٤).

عنه ابن الجوزي:" وكان يعجبه اختلاف السلاطين ويعتقد أنه ما دام الخلاف قائمًا بينهم فأمره منتظم(١).

بعد هزيمة دبيس وتشتت قواته في العراق صرف اهتمامه للحصول على بعض المكاسب في بلاد الشام، فأراد الاستيلاء على أنطاكية وحلب ولذلك فقام بالتوجه نحو الصليبيين للتعاون معهم(٢).

وفي عام (٥١٩هـ/١١٢٥م) كانت المواجهة الثانية بين دبيس والخليفة المسترشد، فقد سار دبيس ومعه طغرل بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعندما علم الخليفة بذلك خرج للقائها ومعه يرنقش الزكوي شحنة العراق وعند الدسكرة(٣) فوجئ دبيس وأصحابه بالخليفة مشرفين عليه فبادره قائلًا :" أنا العبد المطرود ما أن يعفي عن العبد المذنب فلم يجبه أحد " فعاود القول والتضرع، فرق له الخليفة، وهم بالعفو عنه أو مصالحته لولا تدخل الوزير جلال الدين بن صدقة فأثناه عن هذا الرأي(٤)، فاضطر دبيس إلى الهرب عائدًا إلى الملك طغرل(٥).

لم يكن دبيس قادرًا على مواجهة الخليفة حتى يستكمل تنظيم قواته والتي كان يعمل على ترتيبها مرة أخرى، كما أنه يعلم أن الخليفة كان رافضًا لوجوده

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٨٧.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك.

(٣) الدسكرة: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح كافه: علم لعدة مواضع والمقصود بها هنا قرية كبيرة بنواحي نهر الملك غربي بغداد (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٢ ص٤٥٥) أما اليوم فهي مندثرة لا أثر لها (محمود شكري الآلوسي: أخبار بغداد وما جاورها من البلاد: تحقيق/ عماد عبد السلام رؤوف ـ الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ص٣٢٦).

(٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص٢٢٩، ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٩٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٩٩، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٩٥.

في العراق، فحاول استرضائه حتى يكف السلطان محمود عن ملاحقته استجابة لرغبة الخليفة، إلا أن الخليفة رفض ذلك، فهرب دبيس إلى البصرة ومنها إلى بلاد الشام ثم وقع أسيرًا في أيدي تاج الملوك بوري[١] صاحب دمشق الذي قام بتسليمه إلى عماد الدين زنكي صاحب الموصل وقد اتفق معه دبيس على المسير إلى بغداد للاستيلاء عليها[٢].

علم الخليفة المسترشد بهذا الاتفاق بين دبيس وعماد الدين زنكي فأعد العدة للقائهما، وفي عام (٥٢٥هـ/١١٣١م) كانت المواجهة بينهم، ونجح الخليفة في هزيمتهما عند عقرقوف[٣] واستطاع دبيس الفرار مرة أخرى ملتجأ إلى السلطان سنجر[٤].

وفي عام (٥٢٧هـ/١١٣٣م) كانت المواجهة مرة أخرى بين الخليفة المسترشد من ناحية وبين دبيس وعماد الدين زنكي من ناحية أخرى، وكان النصر أيضًا حليف الخليفة ولم يكن أمام دبيس إلا التنقل بولائه بين سلاطين

(١) تاج الملوك بوري: تاج المُلُوك ابن ظهير الدّين طغتكين صَاحب دمشق ملكهَا بعد والِده عام (٥٢٢هـ/١١٢٨م) ووثب عليه الباطنية فجرحوه وَمَات سنة (٥٢٦هـ/١١٣٢م) (الصفدي: الوافي بالوفيات: ج١٠ ص٢٠٢).

(٢) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م): زبدة الحلب في تاريخ حلب: وضع حواشيه: خليل المنصور دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ص٣٠٦، ٣٠٧، عادل الآلوسي: الخليفة المسترشد: ص٥٠٢.

(٣) عَقْرَقُوف: هو عقر أضيف إليه قوف فصار مركبا مثل حضرموت وبعلبكّ، والقوف في اللغة الكلّ، فيقال: أخذه بقوف قفاه إذا أخذه كله، وهي قرية من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ، ذكر البعض أن هذه القرية سميت بعقرقوف ابن طهمورث الملك، (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٤ ص١٣٧، ١٣٨) وهي اليوم إحدى قرى قضاء أبي غريب في محافظة بغداد في العراق (موقع الموسوعة الحرة).

(٤) عادل الآلوسي: الخليفة المسترشد: ص٥٠٢.

السلاجقة المتصارعين على الحكم، فلجأ هذه المرة للسلطان مسعود الذي أحسن استقباله وخلع عليه وقد أحزن ذلك الخليفة الذي اضطر للعودة إلى بغداد بعد أن كان مقيمًا على حصار الموصل انتقامًا لما فعله زنكي عندما هاجم هو ودبيس بغداد منذ العام السابق (٥٢٦هـ/١١٣٢)[١].

وفي عام (٥٢٨هـ/١١٣٤م) هزم مسعود في بعض المعارك أمام أخيه طغرل فتحول ولاء دبيس إلى طغرل لكن لم يلبث أن توفى طغرل في المحرم من عام أواخر (٥٢٩هـ/١١٣٤م) وفقد دبيس الناصر والمعين وبدا واضحًا أن مسعود الذي أساء إليه دبيس سيكسب الجولة الأخيرة ولذلك لم يكن أمامه إلا اللجوء للخلافة من جديد مبديًا الندم على ما فعله فهو المخطئ المقر بذنبه وسيمثل أمام الخليفة لاسترضائه، لكن رسوله الذي أرسله مات قبل أن يصل إلى الخليفة، وكانت العلاقات بدأت تسوء بين السلطان مسعود والخليفة، فاستغل دبيس ذلك ولجأ إلى السلطان مسعود الذي لم يغلق بابه دونه ورحب به حتى يكون عونًا له في مواجهة الخليفة، وبدأ الفريقان بالتحرك وكان دبيس في مقدمة جيش السلطان وقد نجح في إيقاع الهزيمة بمقدمة جيش الخليفة وكان ذلك في رجب عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م) الذي عاد إلى بغداد في أسوأ حال وبعد أن استعد الخليفة خرج للقائهما مرة أخرى في شعبان من نفس العام إلا أن الهزيمة لحقت مرة أخرى بالخليفة وتم أسره فأرسل السلطان سنجر إلى مسعود رسالة يأمره بالإفراج عن الخليفة وأن يرسل إليه دبيس ليرى فيه رأيه، ثم أرسل سنجر رسالة أخرى إلى مسعود يستحثه على إعادة الخليفة إلى بغداد وأرسل إليه عسكر ضم عددًا من الباطنية انتهزوا فرصة خروج السلطان لاستقبال رسول عمه سنجر وهجموا على المسترشد وقتلوه في السادس عشر أو السابع عشر من ذي القعدة عام

(١) عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢٠٠.

(٥٢٩هـ/١١٣٥م)[١]، وبوفاة المسترشد انتهت صفحة من العلاقات العدائية بينه وبين دبيس بن صدقة الذي لم يلبث أن قتل في نفس العام (٥٢٩هـ/١١٣٥م).

**ثانيًا: علاقة دُبَيس بن صدقة بالسلاجقة.**

كانت سياسة دُبيس بن صدقة مع السلاجقة امتداد لسياسة أبيه وأجداده قائمة على تحقيق مصالحهم الشخصية وتزكية الصراع بين سلاطين السلاجقة، ولذلك كانت علاقته متقلبة بين الود تارة والعداء تارة أخرى.

في عام (٥١٢هـ/١١١٨م) توفى السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، وكانت وفاته تعني بداية مرحلة جديدة من الصراع على الحكم داخل البيت السلجوقي، والتي كانت بين سنجر وابن أخيه محمود بن محمد ثم بين أبناء السلطان محمد[٢].

هذا الصراع شجع بعض أصحاب الطموح على أن يدلوا بدلوهم فيه أملًا في تحقيق أكبر قدر من المكاسب وبطبيعة الحال كان في مقدمتهم دُبيس بن صدقة الذي انتهز فرصة هزيمة السلطان محمود أمام عمه سنجر عام (٥١٣هـ/١١١٨م) ليقف إلى جانب الأقوى وهو السلطان سنجر، وتشير بعض المراجع أن دُبيس قام بعملين كانا في مصلحة السلطان سنجر، أولهما: أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه أن يقطع الخطبة للسلطان محمود وأن يخطب لسنجر[٣].

---

(١) ابن الجوزي:المنتظم: ج١٧ ص٢٩٨، ٢٩٩، ابن تغري بردي، أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت٨٧٤هـ/): مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة: تحقيق/ نبيل محمد عبد العزيز أحمد ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ج١ ص٢١٦، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد : ص٢٠٦ و٢٠٧ .

(٢) أبناء السلطان محمد بن ملكشاه هم: محمود، مسعود، طغرل الثاني، سليمان.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٤١، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦، ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٥.

أما الثاني: فإن شحنة بغداد المسمى منكبرس كان مشاركًا للسلطان محمود في حربة ضد سنجر، وبعد هزيمتهما هرب هذا القائد عائدًا إلى بغداد، وقام بنهب بعض المناطق الواقعة على طريق خراسان، وكانت تتبع السلطان سنجر فسير إليه دبيس جيشًا لقتاله والحد من اعتداءاته(١).

ويرى البعض(٢): أن دبيس قد فعل ذلك لكي ينال ثقة السلطان سنجر الذي كان يتمتع بنفوذ وقوة في ذلك الوقت، كما أنه أراد أن يظهر نفوذه وقوته بالنسبة للخليفة المسترشد.

لم تذكر المصادر النتائج التي ترتبت على تأييد دبيس للسلطان سنجر ولا المكاسب التي حصل عليها، كما لم تذكر شيئًا عن موقفه بعد ذلك تجاه السلطان محمود.

على كل حال: فقد هدأت الأمور بين السلطان محمود وسنجر وقام الأخير بإعادة الخطبة للسلطان محمود كما أعاد إليه جميع البلاد التي أخذها منه ماعدا الري التي جعلها قاعدة تابعة له ينطلق منها إذا ما حدث السلطان محمود نفسه بالخروج عليه مرة أخرى(٣).

وفي عام (٥١٤هـ/١١٢٠م) اندلع الصراع مرة أخرى بين الأخوين محمود ومسعود ابني السلطان محمد بن ملكشاه وقد لعب دبيس دورًا بارزًا في هذا الصراع، ولما لم يكن قادرًا على الوقوف هذه المرة بجانب الأقوى منهما وهو السلطان محمود بسبب مناصرته لعمه سنجر سابقًا فقد وقف بجانب مسعود الذى هزم في المعركة التي دارت بينه وبين السلطان وعندما جنح الأخوان إلى الصلح والذي لم يكن دُبيس راغبًا فيه لأنه سيفوت عليه فرصة الاستفادة من هذا الصراع

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٤٤، ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٥، ١٧٦.
(٢) ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٥، ١٧٦.
(٣) عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦.

لجأ إلى السلب والنهب والتخريب في بلاد العراق وارتكب أفعالًا قبيحة وحاول السلطان محمود أن يستميله إلى جانبه فأرسل إليه من يطيب خاطره فلم يلتفت إليه(١).

وقد ذكر ابن الجوزي وابن الأثير الأعمال التي قام بها دبيس لتزكية هذا الصراع، فيذكر ابن الجوزي في حوادث عام (٥١٤هـ/١١٢٠م):" أن دبيس لما علم بعصيان مسعود والحروب التي جرت بينه وبين السلطان محمود أخذ في أذية بغداد وحبس مال السلطان وورد أهل نهر عيسى ونهر الملك مجلفين إلى بغداد بأهليهم ومواشيهم فزعًا من سيف الدولة إلخ النص"(٢).

ثم يذكر: "أن دبيس لما علم بخبر انتصار محمود على مسعود خاف منه وأمر بحرق الأتبان والغلات وأمام هذه الأعمال الوحشية التي قام بها دبيس، فقد قام الخليفة بإرسال أحد مبعوثيه إليه محذرًا ومنذرًا، إلا أنه لم يعبأ بذلك، فأرسل إليه السلطان محمود يطيب خاطره ويخبره برضاه عنه طالبًا منه الكف عن هذه الأعمال فلم يكترث دبيس لذلك"(٣).

أما ابن الأثير: فيرى أن دبيس كان السبب الرئيسي في ذلك الصراع، فقد كان يكاتب جيوش بك أتابك السلطان مسعود ويحرضه على الانشقاق والمطالبة بالسلطنة للسلطان مسعود، وقد وعده بمساعدته ثم يذكر: أن دبيس طلب من جيوش بك أن يقبض على البرسقي حاكم مراغة والذي كان بينه وبين دبيس عداوة، فلما علم البرسقي بذلك فارق مسعود وانضم الى محمود(٤).

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٥١، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦.
(٢) المنتظم: ج١٧ ص١٨٦، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٨٧، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦.
(٤) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٤٩، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦.

ويتفق كلًا من ابن الجوزي وابن الأثير: أن دبيس عندما علم بخبر هزيمة مسعود قام بنهب البلاد وتخريبها وأرسل إليه السلطان محمود يسترضيه والخليفة المسترشد يهدده فلم يلتفت إليهما(١) .

لم يكترث دبيس لمراسلات الخليفة والسلطان محمود وجهز جيشه وسار نحو بغداد وضرب سرادقه نحو دار الخلافة ثم أرسل إلى الخليفة يهدده قائلًا: إنكم استدعيتم السلطان فإن أنتم صرفتموه وإلا فعلت وفعلت وقد أجاب الخليفة على ذلك بأنه لا يمكن رد السلطان إلا أنه سوف يسعى للإصلاح بينهما فانصرف دبيس(٢).

ويرى البعض: أن دبيس ارتكب خطأ في إصراره على النهب ومضايقة السلطان محمود، وكان الأجدر به أن يتخذ من مراسلة السلطان له والرضى عنه فرصة لتحقيق بعض المكاسب، أو أنه يقوم بعمل عسكري خاطف فعلي للسيطرة على بغداد وعرقلة تقدم السلطان محمود نحو بغداد(٣).

وأتفق معه في الجزئية الأولى: وهي أنه كان على دبيس أن يستثمر الفرصة التي واتته والمتمثلة في استرضاء السلطان له، وكان ينبغي عليه تحقيق بعض المكاسب.

وأختلف معه في الجزئية الثانية: وهي قيام دبيس بعمل عسكري سريع يعوق تقدم السلطان نحو بغداد.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٨٧، ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٥١، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٨٧.

(٣) ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٥.

وفي رأيي أن دبيس لو كان في مقدوره ذلك لما تأخر عن القيام به، لكنه كان يعلم قوة السلطان محمود وسطوته ونفوذه، ولذلك قام بفك حصاره على بغداد وانسحب قبل وصول السلطان إليها.

على كل حال: بعد أن وصل السلطان محمود إلى بغداد وعاد دبيس إلى الحلة، فإنه أرسل زوجته ومعها عشرون ألف دينار وثلاثة عشر رأسًا من الخيل إلى السلطان لطلب رضاه(١) غير أن السلطان محمود لم يوافق إلا بشروط لم يقبلها دبيس وعاد سيرته الأولى من العبث والفساد فجهز السلطان جيشه وتحرك لتأديبه، فأبدى دبيس رغبته في قبول الصلح، لكنه لم يكن جادًا في ذلك بل كان يهدف إلى المطاولة حتى يستطيع تدبير أمره، فأرسل نساءه إلى البطيحة وحمل أمواله ورحل عن الحلة ملتجأ إلى صهره إيلغازي بن أرتق في شمال العراق ووصل السلطان إلى الحلة فلم يجد بها أحد(٢).

حاول دبيس أن يطلب الأمان من السلطان وتوسط إيلغازي له عند السلطان والخليفة لكن محاولاته باءت بالفشل، وقد ظل دبيس بعيدًا عن الحلة يبذل المحاولات للصلح مع السلطان والخليفة فلم يجد منهما استجابة، ولذلك لم يكن أمامه إلا العودة إلى الحلة، وحينما علم السلطان بعودته أرسل حملة أخرى لتأديبه فرحل عن الحلة مرة أخرى غير أن الحملة قطعت عليه الطريق فلم يكن أمامه إلا التعهد لقائد الحملة يرنقش الزكوي بلزوم الطاعة وقام بتسليم ابنه وأخيه ليكونا رهينتين عند السلطان لضمان استمرار دبيس في طاعته للسلطان(٣).

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص١٨٧، ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٥١، ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٥٢، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٦.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص٢٠٣، ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٧٦.

ظل دبيس على طاعته للسلطان محمود حتى بداية عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) وبمجرد رحيل السلطان عن بغداد عاد دبيس للنهب والفساد مرة أخرى فتصدى له شحنة بغداد البرسقي، وتبادل الفريقان النصر تارة والهزيمة تارة أخرى ولم يصل أيًا منهم إلى موقف حاسم مع الآخر، وحينما علم السلطان بذلك قبض على شقيق دبيس وابنه وسجنهما في إحدى القلاع وأشيع أن السلطان قد سمل عين أخيه، فلبس دبيس السواد وجز شعره وتوجه إلى ممتلكات الخليفة القريبة من الكوفة واستولى عليها كما أرسل الى الخليفة يهدده ويتوعده بنهب وتخريب بغداد فجهز الخليفة جيشًا لملاقاته بعد أن أمر البرسقي للخروج إليه ولحق الخليفة بجيش البرسقي في ذي الحجة عام (٥١٦هـ/١٢٢٣م) ولما رأى دبيس أن الأمر جد خطير أرسل إلى الخليفة يستعطفه فلم يهتم به والتقى الفريقان في المحرم عام (٥١٧هـ/١١٢٣م) في بلاد دبيس وقرب عاصمته فهزم دبيس وفر معظم رجاله بعد أن قتل منهم الكثير، أما هو فقد نجا بنفسه والتجأ إلى بعض القبائل العربية طالبًا منهم العون ضد الخليفة والسلطان واستطاع دبيس أن يجمع حوله بعض العربان وأن يهاجم بهم البصرة وأن يعيث فيها فسادًا، ثم رحل عنها لاجئًا إلى القوى الصليبية في الشام ليلعب معهم أخطر دورٍ في حياته السياسية[١] وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل.

وخلال الفترة من (٥١٩ـ٥٢٣هـ/١١٢٥ـ١١٢٩م) لعب دبيس دورًا بارزًا في إحداث الوقيعة بين سلاطين السلاجقة، فاستطاع أن يوغر صدر السلطان سنجر على ابن أخيه السلطان محمود وسهل أمامه الاستيلاء على العراق، غير أن سنجر تأكد فيما بعد ولاء ابن أخيه له، ومن العجب أن نرى سنجر يسلم

(١) ابن الجوزي: المنظم: ج١٧ ص٢١٧، ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٨٥، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد: ص١٩٨.

دبيسا إلى محمود ويوصيه به خيرًا، ولم يعاقبه على افتراءاته بل يطلب من السلطان محمود أن يكرمه وأن يعيده إلى مقر حكمه في الحلة، فعاد السلطان محمود ومعه دبيس إلى العراق فوصلا إليها عام (٥٢٣هـ/١١٢٩م)[١].

وبعد وفاة السلطان محمود عام (٥٢٥هـ/١١٣١م) انحاز دبيس إلى السلطان سنجر ضد مسعود الذي أراد الاستيلاء على العراق بعد وفاة السلطان محمود، وبعد هزيمة مسعود دخل دبيس في معارك مع الخليفة المسترشد انتهت بهزيمته، وبعد رحيل سنجر إلى خراسان لم يعد أمام دبيس إلا اللجوء إلى مسعود الذي أحسن استقباله وخلع عليه، وقد أحزن ذلك الخليفة وجعله يستشعر الغدر من جانب مسعود ونشبت المعارك بينهما والتي انتهت في النهاية بقتل الخليفة على أيدي الباطنية في ذي القعدة عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م) ثم قتل بعده دبيس على يد السلطان مسعود بعدة أيام في ذي الحجة من نفس العام (٥٢٩هـ/١١٣٥م)[٢] وسيأتي تفصيل ذلك.

**ثالثًا: تعاون دُبيس بن صدقة مع الصليبيين.**

في عام (٥١٧هـ/١١٢٣م) قام دبيس بن صدقة بتهديد الخليفة المسترشد مطالبًا إياه بإطلاق سراح ابنه وشقيقه، وبالغ في تهديده فحلف لينهبن بغداد، وقد نجح دبيس في جمع بعض القبائل العربية حوله وهاجموا البصرة وقاموا بنهبها وقتل مقدم عسكرها[٣].

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٩ ص١٥، بدوي: علاقات بني مزيد: ص٢٠٠.

(٢) ابن الجوزي:المنتظم: ج١٧ ص٢٩٨، ٢٩٩، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد : ص٢٠٦ و٢٠٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٥١، عبد الجبار ناجي: الإمارة المزيدية: ص١٧٧، ١٧٨.

لم يقف الخليفة مكتوفي الأيدي تجاه هذه التهديدات فجهز جيشًا والتقى بدبيس الذي هزم وفر هاربًا إلى قلعة جعبر[١].

بعد هزيمة دبيس في العراق صرف اهتمامه للحصول على بعض المكاسب في بلاد الشام، فأراد الاستيلاء على حلب، ولذلك فقام بالتوجه نحو الصليبيين للتعاون معهم.

كانت مدينة حلب قد تعرضت لضغط الصليبيين وهجماتهم مرارًا وتكرارًا، وقد بدأ هذا الضغط مع بداية الغزو الصليبي لبلاد الشام والجزيرة، فقد أدرك الصليبيون أهمية هذه المدينة لما كانت تتمتع به من مركز استراتيجي هام من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية، فهي تقع في مركز حصين بين إمارتين صليبيتين هما الرها شرقًا، وأنطاكية غربًا، لذا حاول الصليبيون الاستيلاء عليها لأنها سوف تؤمن المواصلات بين الرها وأنطاكية، كما يعجل من إقامة وحدة سياسية وعسكرية بينهما، وكانت حلب قد بلغت درجة كبيرة من الضعف منذ أن توفى أميرها رضوان بن تتش السلجوقي عام (٥٠٧هـ/١١١٣م) وتوالى على حكمها أبناؤه الضعفاء، وتحكم فيهم أوصيائهم، وهنا أدرك أهل حلب عدم جدوى بقائها على هذه الأوضاع، فأرسلوا إلى الأمير إيلغازي الأرتقي حاكم ديار بكر يطلبون منه القدوم لإنقاذ حلب من هذه الأوضاع المتردية، فتقدم إليها واستولى عليها عام (٥١١هـ/١١١٧م)[٢].

وفي عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) توفى الأمير إيلغازي الأرتقي وانقسمت إمارته بين أبنائه وانعزلت مدينة حلب عن القوى المقاتلة في ديار بكر، فانتهز الصليبيون الفرصة للاستيلاء عليها، ولكن ظهر قائد شجاع قطع عليهم الطريق

(١) سبقت ترجمتها.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٥٩، ٢٦٩، عماد الدين خليل: دراسات تاريخية: دار ابن كثير ـ دمشق، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ص١٢، ١٣.

وهو بلك بن بهرام الذي تولى حركة الجهاد ضد الصليبيين، غير أن مقتله عام (٥١٨هـ/١١٢٤م) وانتقال الحكم إلى ابن عمه حسام الدين تمرتاش الذي تميز بالضعف فتح الطريق مرة أخرى أمام الصليبيين للاستيلاء على حلب(١).

وقد شجع الصليبيين على ذلك تلك الخيانة التي قام بها أحد أمراء العرب وهو دبيس بن صدقة أمير الحلة والهارب من وجه الخلافة العباسية والذي أوهمهم بأنه سوف يمكنهم من الاستيلاء على حلب مقابل الحصول على بعض المكاسب، فذهب إليهم وعقد معهم اتفاقًا ملخصه الآتي:

- أوهم دبيس بن صدقة الصليبيين أن له أنصارًا في حلب وأن أهلها شيعة وأنهم يميلون إليه لأجل المذهب، وأنهم سوف يسلمونه البلد إذا رأوه في مقدمة المهاجمين(٢).
- وعد بلدوين أمير أنطاكية وجوسلين أمير الرها بأنه سيقدم لهما الكثير مقابل مساعدتهما له.
- وعد الصليبيين بأنه سوف يكون نائبًا لهم في حلب مطيعًا لأوامرهم مدينًا لهما بالولاء(٣).
- تعهد دبيس للصليبيين بمنحهم الأموال والأماكن القريبة من حلب(٤).

تقدم بلدوين على رأس قواته ونزل على حلب في أواخر شعبان (٥١٨هـ/١١٢٤م)، وتقدم جوسلين أمير الرها بصحبة دبيس بن صدقة صوب ناحية أخرى من أعمال حلب، وقاما بتدمير مزروعاتها، ثم رحلا ونزل مع بلدوين

(١) ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٩٠، عماد الدين خليل: دراسات تاريخية: ص١٣.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨ ص٦٩٥
(٣) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٦٩٥.
(٤) ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٩٢، عماد الدين خليل: دراسات تاريخية: ص١٤

على حلب، واجتمع بهم هناك بعض الخونة الآخرين[١] من أجل مصالحهم واقتسام الغنائم في حالة سقوط حلب، وقد فرض الخونة والصليبيين جميعاً الحصار على حلب من شتى جهاتها، ووطَّنوا أنفسهم على المقام الطويل، وأنهم لا يغادرونها حتى يملكوها، وبنوا البيوت لأجل البرد والحر، وأقاموا الخيام وكانت عدتها ثلاثمائة، للفرنج مائتا خيمة وللمسلمين مائة خيمة[٢]، أما عن حامية حلب فلم يكن بها سوى خمسمائة فارس[٣].

**ـ أعمال الصليبيين والخونة الوحشية ضد أهالي حلب:**

بدأ هؤلاء الغزاة بشن هجماتهم الدورية على حلب، فقطعوا الأشجار، وأفسدوا البساتين والزروع في محاولة منهم لتدمير اقتصاديات المدينة التي كانت تعتمد على الزراعة، كما قاموا بتخريب مشاهد المسلمين ونبش قبور الموتى، وسلب الأكفان، وجعلوا من توابيتهم أوعية يتناولون بها طعامهم وعمدوا إلى من لم تتقطع أوصاله من الموتى فربطوا في أرجلهم الحبال وسحبوهم أمام أنظار المسلمين المحاصرين في حلب، لم يكتف الصليبيون بذلك بل كانوا كلما ظفروا بمسلم قطعوا يديه ومذاكيره ودفعوه إلى المسلمين[٤].

(١) هؤلاء الخونة هم: سلطان شاه بن رضوان السلجوقي، عيسى بن سالم بن مالك العقيلي، ياغي سيان بن عبدالجبار الأرتقي (ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٩٢).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨ ص٦٩٥، ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٩٢.

(٣) عيسى الحسن: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية: الأهلية للنشر والتوزيع ــ عمان ــ الأردن ، بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى٢٠٠٨م ص١٧٧، عماد الدين خليل: دراسات تاريخية: ص١٥.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٩٣.

**ـ موقف أهل حلب ومقاومتهم.**

لم يقف أهل حلب تجاه هذه الأفعال مكتوفي الأيدي، فاضطروا إلى مجاراة أفعال الصليبيين بالمثل فكانوا يفعلون بما يأسرونه من الفرنج كذلك، كما كان المسلمون يصيحون بدبيس الخائن ومن معه من خلف الأسوار قائلين: دبيس يا نحيس، كما عملوا على مقاومة الصليبيين والخونة، وكان يقود المقاومة الإسلامية القاضي أبو الفضل بن الخشاب الذي كان قد تمرّس عن أعمال الدفاع، وكان يملك شعبية واسعة في حلب فأصدر أوامره بتوجيه ضربات مباشرة في قلب معسكرات الغزاة فكانت جماعة من مقاتلي حلب تخرج سراً لتغير على هذه المعسكرات، فتقتل وتأسر وتقفل عائدة من حيث أتت ... وفي الوقت نفسه كانت الرسل تتردد بين الطرفين للتوصل إلى اتفاق ولكن دون جدوى(١).

**ـ استنجاد أهالي حلب ببعض الأمراء:**

ضاق الأمر بالمسلمين في حلب وحل بهم الإرهاق والجوع، فاتفق أميرهم بدر الدين الأرتقي وجماعة من كبار المسؤولين على إرسال وفد من زعماء حلب إلى ديار بكر للاستنجاد بأميرها حسام الدين تمرتاش، لكنه كان مشغولا بالاستيلاء على بلاد أخيه سليمان الذي كان قد توفى في تلك السنة، الأمر الذي دفعه إلى إهمال شؤون حلب وعدم الاستجابة لمطالب الوفد، ولما يئسوا من مماطلات الأمير حسام الدين تمرتاش توجهوا نحو والي الموصل السلجوقي آق سنقر البرسقي، وكان الضعف قد بلغ منه مبلغاً عظيماً، فمنع الناس من الدخول عليه إلاَّ الأطباء وعندما استؤذن للوفد الحلبي بالدخول أذن البرسقي لهم، فدخلوا عليه واستغاثوا به وشرحوا له الأخطار التي تحيق بحلب ومدى الصعوبات التي يعانيها أهل المدينة، فأجابهم الرجل: إنكم ترون ما أنا الآن فيه من المرض،

(١) ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٩٣، عيسى الحسن: تاريخ العرب: ص١٧٧.

ولكني قد جعلت لله عليَّ نذراً لئن عافاني من مرضي هذا لأبذلن جهدي في أمركم والذي عن بلدكم وقتال أعدائكم، ولم تمض ثلاثة أيام على مقابلته تلك حتى فارقته الحمى، وتماثل للشفاء، وسرعان ما نادى قواته لأن تتأهب لقتال الصليبيين وإنقاذ حلب، وفي غضون أيام معدودات غدا جيشه على أهبة الاستعداد فغادر الموصل متجهاً إلى الرحبة، وأرسل من هناك إلى طغتكين أمير دمشق وخير خان أمير حمص يطلب منهما مساعدته في إنجاز مهمته، فلبى هذان الأميران دعوته وبعثا عساكرهما للانضمام إلى جيش البرسقي الذي كان قد تحرك آنذاك صوب بالس القريبة من حلب، ثم وصلت قوات طلائع البرسقي حلب يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي الحجة من سنة(٥١٨هـ/١١٢٤م) وما إن اقترب البرسقي بقواته المنظمة حتى أسرع الصليبيون في الانسحاب من حلب فعسكروا في جبل جوشن على الطريق إلى أنطاكية، وخرج الحلبيون إلى خيامهم فنالوا منها ما أرادوا، ومن ثم دخل البرسقي حلب، وبدأ بحل مشاكلها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي، فنشر العدل وأصدر مرسوماً برفع المكوس والمظالم المالية(١).

وهكذا استطاع البرسقي أن يحكم الطوق الذي أحاط به الصليبيون حلب، وأن يخلصَّ هذا الموقع الهام من أخطر محنة جابهته طيلة الحروب الصليبية ويوحده مع الوصول لأول مرة منذ بدء هذه الحروب(٢).

أما دبيس فقد نجح في الهروب من الشام، بعد رحيله عن حلب، وقصد الملك طغرل، وقد سبق الحديث عن ذلك.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨ ص٦٩٦، ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٩٣ـ٢٩٧، عيسى الحسن: تاريخ العرب: ص١٧٧ـ١٧٩.

(٢) عماد الدين خليل: دراسات تاريخية: ص٢٠، عيسى الحسن: تاريخ العرب: ص١٧٩.

ويرى البعض[١]: أن دبيس كان يهدف من وراء كل هذا العصيان والتمرد إلى الطمع في الخلافة الإسلامية وأن يصبح هو خليفة المسلمين، كما أنه كان يعلن معتقداته الشيعية وهو يقاتل الخليفة العباسي المسترشد، فقد خرج في جيشه يرافقه الفساق وأصحاب الدفوف يضربون عليها وهم يصيحون:" العنوا زقلى ومقلى، والعنوا شيخ الضلالة..."، فلما تم أسرهم سئلوا عن هذه الأسامي فقالوا: كنّا نعنى بزقلى أبا بكر وبمقلى عمر، وبشيخ الضلالة عثمان. كما ذكروا أنهم كانوا يريدون دخول بغداد وقتل الخليفة العباسي، وهتك أعراض الفتيات وقتل النساء العواجيز[٢].

وفي رأيي: أن دبيس لم يكن طامعًا في الخلافة العباسية، لأنه كان يعرف قوة السلاجقة والتي لم ولن تسمح له بذلك، كما أن إظهار معتقداته الشيعية لا يعد دليلًا واضحًا على طمعه في الخلافة، فالبويهيون كانت لهم السيطرة على الخلافة والخلفاء العباسيين، يعينون من شاءوا ويعزلون من شاءوا وربما يقتلون منهم من شاءوا، وكانوا يظهرون معتقداتهم الشيعية وعلى الرغم من ذلك لم يجرؤا على الاستيلاء على الخلافة أو نقلها إليهم، لأنهم كانوا يدركون المخاطر التي ستحيق بهم إذا أقبلوا على ذلك، فكيف بدبيس بن صدقة وهو أمير أهوج متسرع في قراراته، وربما كانت أقصى أمانيه أن يصبح واليًا على مدينة كبيرة من مدن العراق أو الشام.

---

(١) عبد العزيز بن صالح الغامدي: الخلافة العباسية في مصر في عصر المماليك(٦٥٩-٩٢٣هـ): رسالة دكتوراة غير منشورة ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ص٨٠، ٨١.

(٢) ابن العمراني محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م): الإنباء في تاريخ الخلفاء: تحقيق/ قاسم السامرائي ـ دار الآفاق العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى١٤٢١هـ/٢٠٠١م ص٢١٥، الغامدي: الخلافة العباسية في مصر: ص٨١.

**نهاية دبيس بن صدقة عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م)**

في بداية عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م) كانت العلاقات بدأت تسوء بين السلطان مسعود والخليفة، فاستغل دبيس ذلك ولجأ إلى السلطان مسعود الذي جعله على مقدمة جيشه لمواجهة الخليفة المسترشد، وبعد هزيمة الأخير ووقوعه في أسر السلطان مسعود تسلل الباطنية إلى الخليفة وقاموا بقتله في السابع عشر من ذي القعدة عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م)[١].

وبعد وفاة المسترشد اتهم السلطان مسعود دبيس بقتل الخليفة، فما دام أن الباطنية الشيعة الذين يشترك معهم دبيس في اعتناق المذهب الشيعي هم من قتلوا الخليفة فلابد أن يوجه الاتهام إلى دبيس بن صدقة الذي عاش طوال حياته في صراع مع الخليفة المسترشد، غير أن دبيس عندما أحس بالخطر حاول الهرب، إلا أن السلطان مسعود أرسل إليه أحد غلمانه فقتله، وقيل: بل قتل بين يدي السلطان، وذلك في الحادي والعشرين من ذي الحجة عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م)، وكان بين قتل المسترشد ودبيس أربع وثلاثين يومًا[٢].

يقول ابن الأثير: "ومثل هذه الحادثة تقع كثيرًا، وهي قرب موت المتعاديين، فإن دبيسًا كان يعادي المسترشد بالله ويكره خلافته، ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقاومة المسترشد، فلما زال السبب زال المسبب"[٣].

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص٢٩٨، ٢٩٩، عبد المجيد بدوي: علاقات بني مزيد : ص٢٠٦ و٢٠٧ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧ ص٣٠٣، ابن الأثير: الكامل: ج٩ ص٦٦.

(٣) الكامل في التاريخ: ج٩ ص٦٧.

ومعنى ذلك أن سلاطين السلاجقة كانوا يبقون على دبيس بن صدقة ليجعلوه في وجه الخليفة، فلما قتل الخليفة لم يعد هناك سبب للإبقاء عليه، ولذلك تخلصوا منه بعد وفاة الخليفة مباشرة.

وبمقتل دبيس طويت صفحة من صفحات الصراعات والتمرد والخيانة ضد الخلافة العباسية، وإن استمرت هذه الصفحات على مدار التاريخ الإسلامي وغيره.

## خاتمة البحث

ـ نجح دبيس في سياسته الداخلية، فتمكن من إعادة بناء إمارة بني مزيد، وجمع حوله القبائل العربية والكردية وتمكن من سيطرته على البلاد.

ـ تمثلت سياسة دبيس بن صدقة الخارجية في تكوين تحالفات سياسية من أجل تحقيق أطماعه الشخصية.

ـ اتبع دبيس بن صدقة الازدواجية في سياسته مع الخليفة العباسي وسلاطين السلاجقة، فكان يعلن ولائه للخليفة تارة، وللسلطان السلجوقي تارة أخرى، لكن كانت علاقته بالخليفة المسترشد عدائية في معظم الأوقات، وقامت بينهما المعارك أكثر من مرة

ـ كانت علاقة دبيس مع سلاطين السلاجقة قائمة على تقديم فروض الولاء والطاعة للأقوى منهما كما كان دبيس يعمل على تزكية الصراع بين سلاطين السلاجقة والخلافة العباسية لتحقيق أهدافه.

ـ أخطأ دبيس في معاداته للخليفة المسترشد كما أخطأ في التنقل بولائه بين السلاطين السلاجقة وعدم التزامه جانبًا واحدًا.

ـ قام دبيس بخيانة كبرى وهي التعاون مع الصليبيين في حصار حلب من أجل تحقيق أطماعه.

ـ استعمل سلاطين السلاجقة دبيس بن صدقة كورقة للضغط على الخليفة العباسي المسترشد يحركونها إذا ما شاؤا، وقد نجحوا في ذلك، ولذلك عندما قتل الخليفة المسترشد قام السلطان مسعود بقتل دبيس بعده بعدة أيام لأن دوره قد انتهى، ولم يعد لبقائه على قيد الحياة أي أهمية بالنسبة له.

ـ أكد البحث أن خلافة المسترشد بالله وإمارة دبيس بن صدقة (٥١٢ـ٥٢٩هـ/١١١٨ـ ١١٣٥م) كانت مليئة بالصراعات والنزاعات سواء بين بعضهما البعض أو بين الخليفة والسلاجقة أو بين دبيس والسلاجقة، وقد استمرت هذه الصراعات حتى مقتلهما عام (٥٢٩هـ/١١٣٥م)

## قائمة المصادر والمراجع

**أولًا: المصادر:**


- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):**

١ـ الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):**

٢ـ خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء العراق الجزء الرابع ــ المجلد الثاني: تحقيق وشرح/ محمد بهجة الأثري ــ الجمهورية العراقية ــ وزارة الإعلام ـ مديرية الثقافة العامة – سلسلة كتب التراث (٢٤).

- **البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):**

٣ـ جمل من أنساب الأشراف: تحقيق/ سهيل زكار ورياض الزركلي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **ابن تغري بردي، أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):**

٤ـ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة: تحقيق/ نبيل محمد عبد العزيز أحمد ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة.

٥ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ــ دار الكتب ـ مصر.

- **ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):**

٦ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م):**

٧ـــ جمهرة أنساب العرب: تحقيق/ لجنة من العلماء ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **الحلي، أبو البقاء هبة الله محمد بن نما (ت ق ٦هـ):**

٨ـــ المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية: تحقيق/ محمد عبد القادر خريسات، صالح موسى درادكة ـ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان ـ الأردن ـ الطبعة الأولى١٩٨٤م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):**

٩ـ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: تحقيق/ خليل شحادة ـــ دار الفكر ـــ بيروت ـــ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):**

١٠ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ د. ط ١٩٠٠م.

- **الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**

١١ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير وَالأعلام: تحقيق/ بشار عوّاد معروف ـ دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م .

- **ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):**

١٢ـ فوات الوفيات تحقيق/ إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):**

١٣ـ الوافي بالوفيات: تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ـ دار إحياء التراث ـ بيروت١٤٢٠هـ /٢٠٠٠.

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م):**

١٤ـ تاريخ الرسل والملوك: دار التراث ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.

- **ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م):**

١٥ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: تحقيق/ عبد القادر محمد مايو ـ دار القلم العربي ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م):**

١٦ـ بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق/ سهيل زكار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان د.ت.

١٧ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب: وضع حواشيه: خليل المنصور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):**

١٨ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق/ محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **ابن العمراني محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م):**

١٩ـ الإنباء في تاريخ الخلفاء: تحقيق/ قاسم السامرائي ـ دار الآفاق العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- **ابن النجار محب الدين ابي عبد الله محمد بن محمود البغدادي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م):**

٢٠ـ ذيل تاريخ بغداد: تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):**

٢١ـ معجم البلدان: دار صادر . بيروت . الطبعة: الثانية١٩٩٥م.

**ثانيًا: المراجع:**

- **أحلام عبود:**

٢٢ـ مدينة الحلة منذ تأسيسها حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي: مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية . ٢٠١٠م.

- **زامباور:**

٢٣ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في الإسلام: ترجمة/ زكي محمد حسن وآخرون ـ دار الرائد . بيروت . لبنان ـ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- **الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م):**

٢٤ـ الأعلام: دار العلم للملايين . الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

- **عادل محي الدين الآلوسي:**

٢٥ـ الخليفة المسترشد بالله العباسي: بحث منشور بكلية القانون والسياسة ـ جامعة بغداد ـ بدون بيانات .

- **عبد الجبار ناجي:**

٢٦ـ الإمارة المزيدية الأسديّة في الحلّة: دراسة في أحوالها السياسية والحضارية: المكتبة التخصصية التاريخية ـ إيران ـ الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

- **عبد العزيز بن صالح الغامدي:**

٢٧ـ الخلافة العباسية في مصر في عصر المماليك(٦٥٩ـ٩٢٣هـ): رسالة دكتوراة غير منشورة ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- **عبد المجيد أبو الفتوح بدوي:**

٢٨ـ علاقات بني مزيد بالقوى السياسية في العراق من بدايات القرن الخامس الهجري حتى منتصف القرن السادس: مجلة كلية الآداب ـ جامعة المنصورة ـ مصر ـ العدد السابع عام ١٩٨٧م.

- **عماد الدين خليل:**

٢٩ـ دراسات تاريخية: دار ابن كثير ـ دمشق، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- **عيسى الحسن:**

٣٠ـ تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية: الأهلية للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ، بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى٢٠٠٨م

- **كحالة، عمر رضا (ت ١٤٠٨هـ):**

٣١ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة: السابعة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- **محمد سهيل طقوش:**

٣٢ – تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق: (٤٢٩ـ٥٩٠هـ/١٠٣٨ـ١١٩٤م): دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- **محمود شكري الآلوسي:**

٣٣ـ أخبار بغداد وما جاورها من البلاد: تحقيق/ عماد عبد السلام رؤوف ـ الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- **موقع الموسوعة الحرة .**
- **يوسف كركوش:**

٣٤ـ تاريخ الحلة(القسم الأول في الحياة السياسية): المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.